

أضواء البيان

@ 569 : ويقول حكيمهم : % (ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه % يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم) % .

قوم يئدون بناتهم ، ويحرمون من الميراث نساءهم ، يأكلون التراث أكلاً لماً ، ويحبون المال حباً ، فقلب مقاييسهم وعدل مفاهيمهم ، فالآن قلوبهم ورقق طباعهم ، فلانوا مع هذا الضعيف وحفظوا حقه . .

وحقيقة هذا التشريع الإلهي الحكيم منذ أربعة عشر قرناً تأتي فوق كل ما تتطلع إليه آمال الحضارات الإنسانية كلها ، مما يحقق كمال التكامل الاجتماعي بأبهى معانيه ، المنوه عنه في الآية الكريمة { وَلَئِيْخْشَ السَّادِّينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوْا عَلَيْهِمْ فَلَايْتَسَّعُوْا لِلَّهِ وَلَئِيْقُولُوْا قَوْلًا سَدِيداً } ، فجعل كافل اليتيم اليوم ، إنما يعمل حتى فيما بعد لو ترك ذرية ضعافاً ، وعبر هنا عن الأيتام بلازمهم وهو الضعف إبرازاً لحاجة اليتيم إلى الإحسان ، بسبب ضعفه فيكونون موضع خوفهم عليهم لضعفهم ، فليعاملوا الأيتام تحت أيديهم ، كما يحبون أن يعامل غيرهم أيتامهم من بعدهم . .

وهكذا تضع الآية أمامنا تكافلاً اجتماعياً في كفالة اليتيم ، بل إن اليتيم نفسه ، فإن به يقيم اليوم ورجل الغد ، فكما تحسن إليه يحسن هو إلى أيتامك من بعدك ، وكما تدين تدان ، فإن كان خيراً كان الخير بالخير والبادء أكرم ، وإن شراً كان بمثله والبادء أظلم . . ومع هذا الحق المتبادل ، فإن الإسلام يحث عليه ويعني به ، ورغَّب في الإحسان إليه وأجل المثوبة عليه ، وحذَّر من الإساءة عليه ، وشدد العقوبة فيه . .

وقد يكون فيما أوردناه إطالة ، ولكنه وفاءً بحق اليتيم أولاً ، وتأثير بكثرة ما يلاقه اليتيم ثانياً . .

تنبيه .

ليس من باب الإساءة إلى اليتيم تأديبه والحزم معه ، بل ذلك من مصلحته كما قيل : ليس من باب الإساءة إلى اليتيم تأديبه والحزم معه ، بل ذلك من مصلحته كما قيل : % (قسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم) % .
وقوله : .

{ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْهُ } ، قالوا : السائل الفقير والمحتاج ، يسأل ما يسد حاجته وهو مقابل لقوله : { وَوَجَدَكَ عَتَاً لَّلاً فَأَغْنَيْ } ، أي فكما أغناك □

